

سلسلة الحجاز والمقدسات

٢

لماذا يخترق آل سعود ثقافة الشعب المصري ؟ لماذا يخترق آل سعود ثقافة الشعب المصري؟

"الصهيونية هدفها تدمير الأرض والوهابية هدفها تدمير الإنسان"
جلال عامر (١)

ما بين دوى "الفتنة" التي أوقعها أتباع (الوهابية /السعودية)، في مصر خلال ثلاثينيات القرن العشرين ، واستعادة أمرها في سبعينات ذاك القرن، وحتى يوم الناس هذا، تاريخ حافل بالأحداث ، لكنه يختزل قصة التصدع الذي أصاب أركان " الإسلام المصري" طوال تلك العقود، وما تمخص عن هذا التصدع من تحولات لافتة في المسلك العام لجمهرة المسلمين المصريين ، تحت وطاه "الخطاب الوهابي " المتصاعدا

في أو ساط هذا الجمهور، والذي اقتزن- كما هو معلوم- بالطفرة المالية للدولة السعودية نتيجة الارتفاع غير المسبوق لأسعار النفط، على إثر حرب التحرير المصرية -السورية، في السادس من أكتوبر/ تشرين من العام ١٩٧٣، لتصير الثمار المالية لهذه الحرب -ويلا المفارقة- هي أكبر مصادر التغذية لخطاب الوهابية /السعودية في أرجاء العالم الإسلامي ولاسيما في مصر، بغية إضعاف الخطاب الأزهري الصوفي للإسلام في هذا البلد، بوصفة العائق الرئيس أمام إحياء "الفتنة الوهابية" بين مسلمي مصر، وهو ما تحقق فعليا - نتيجة عوامل متعددة - لتشمل مختلف أنحاء الحضر، بعد أن كانت أثارها لا تتعدى بعض من أنحاء الريف قبل نيف وسبعين سنة، وذلك عبر "الفتاوى" التي أشاعها دعاء "الوهابية المتمصرة"، في ذلك الوقت، إلا أن هيبة الخطاب الأزهري في نفوس أولئك القرويين، و مناوئته هذا اللون من الفتاوى الشائنة حال دون نفشى فتنة الوهابيين الأولى، بين صفوفهم، ناهيك عن انخراط أغلب هؤلاء القرويين في شبكات الطرق

"كاتب وصحفي مصري، والافتباس والوارد أعلاه جاء ضمن زاويته "أقوال منثورة
جريدة القاهرة، عدد ١٨٩، بتدريج ٢٠٠٧، ص ٢٠٠٧

الصوفية ، والتي شكك - بدورها- سداً منيعاً أمام شره التغول الوهابي في الأرجاء المصرية.

واستناداً الى ذلك المدخل فإن مدار هذا البحث سيرتكز على ثلاثة أقسام ،يتناول الأول ملامح التكوين التاريخي للكيان المصري ،ويتصل الثاني بالأشكال والوسائل التي لجأ إليها الخطاب الوهابي لتقويض دعائم الإسلام المصري ،اعتباراً من الثلث الثاني من القرن المنصرم، وما أفضت إليه هذه المحاولات لفهم أبعاد "الفتنة الوهابية الثانية" ،وما أفضت إليه من تحولات غير مسبوقه في البنية العامة للجماعة المصرية، وهو ما يشتمل عليه القسم الثالث

١-الكيان المصري :جذور الموروث وتفاعلات

الوافد:

أسرار وطلاسم غامضة مازالت تقبع خلف كل تاريخ، وبالأخص تاريخ مصر الطويل والمعذب، حيث الانهيارات التي بدت في أزمانها وكأن لا راد لها ولا طريقة لوقوعها، فلماذا كان ذلك ؟ ثم كيف انبثقت إرادة النهوض في أوقات كثيرة- أيضاً -فأنقذت البلاد وحررت الأمة من الاستعباد، بكل أشكاله وصوره ؟ولكن لماذا لم تنبثق هذه الإرادة في أوقات كثيرة، كانت محنة الوطن في قمته ومنتهاها، فلم تجد من يوقفها وظلت تفترس المصريين فترات لا تحسب بالسنين أو عشراتها، وإنما -أحياناً بالقرون؟

تساويات عديدة طرحها ولا يزال يطرحها أكثر من كاتب وباحث (١) ومفكر خلال الأزمان الكبرى التي تبدو وأنها قد عصفت بالكيان المصري، من حيث كونه كيانه معنوياً ، تأسس بنيانه وتعززت ركائزه استناداً إلى "حضارة أخلاقية" تناغمت مع جميع عناصر الكون بطواهره الطبيعية ومخلوقاته الحيه٢.

لذا، لم يجازف أحد علماء الأنثروبولوجيا (علم الأجناس) المصري حين ذهب إلى أن ثمة " روح خاصة" ميزت الجماعة المصري ،على مدى تاريخها المتصل ،وهي خصوصية نبعت- في تقديره -من حيث تشكلها المستقل عن عالم السياسة ،وعن عالم التطرف الديني، كونها روح الجماعة

التي تواجه مصيراً مشتركاً، فعملت سوياً لبلوغ مراميها في الاستمرار
المثمر على هذه البقعة من .

٢

الكوكب ،والتي (مصر) ،فكان التجانس والتسامح والتضامن والتوازن(٣) هي السمات الرئيسية للجماعة المصرية، التي حفظت لروحها ضرورة الوجود، المصرية، التي حفظت لروحها ضرورة الوجود، ولتكوينها ديمومة البقاء، ما جعل من الأطر المدنية لا السياسية هي المحور الرئيس للفاعلية الحضارية لدى المصريين ،منذ القدم، بحسب ما تبنت في الأسر والجماعات القروية والأحياء الحضرية والطوائف الحرفية والجمعيات الأهلية وما إلى ذلك من أوعية مدنية عكست قوة الجماعة المصرية وتماسكها، فذابت الهويات والانتماءات الفرعية ،حتى صار أي حديث عن " الفتنة الطائفية" أمراً لا يجرح وحدة الوطن فحسب، بل عد احتراقاً خطيراً لأساس الانتماء عند المصريين ،أي الانتماء الوطني (٤) وهو ما يفسر أسباب غياب هذا اللون .

^٢ ١-نظر، في ذلك ،سعيد ، محمد السيد، في مقدمته لكتاب :حكمة المصريين ،مجموعة باحثين ص٨٨..٨٩
٢-نفسه،ص١٣
١

^٣ أبو زيد، أحمد حكمة المصريين .مرجع سابق ،ص٨٩،٨٨
٤ سعيد ،مرجع سابق ،ص١٣

من التنازع بين الأذهب والفرق بين مسلمي مصر، تاريخياً ،ذلك التنازع الذي عرفته- ولا تزال -المجتمعات الإسلامية ولاسيما في الشطر الشرقي من العالم العربي والذي بلغ درجة الصراعات المهلكة والصدمات المروعة، بينما نأى مسلمو مصر عن كل ذلك ،عبر صور ثقافية سياسية وفكرية وإبداعية ،عكست متانة الكيان التاريخي لهذا البلد ،وقوة استمراره ه ، بوصفه الوعاء الحافظ لكل ثقافة إنسانية ، التي ورثتها الحضارة العربية الإسلامية عن الحضارات والثقافات السابقة(٥) .

وفي هذا، جاء العصر الفاطمي ليتفاعل مع مآثرات المصريين وأشواقهم الساعية إلى ارساء العدل والحرية، استناداً إلى فهم المصريين لأمر الدين ، لا بوصفه محض تفسير للكون، واتصالاً

بالأخرة فحسب، بل باعتباره كذلك -مرشداً وهدايا لهم في شتى مناحي حياتهم، ناهيك .

هتليمة، عبد المنعم ، حكمة المصريين ،مرجع يابق ، ١٨٢ ، ١٨٠

عن مقدرتهم الفذة على التألف بين عناصر الوافد والموروث الثقافي عبر عمليات طويلة من الصهر والتركيب التاريخيين ، فتعززت وحدة التنوع وتألقت إلى حد التناغم بين الأضداد ، فتضافرت إسلاماً تقاليد الفقه الشيعي والسني وتسامحت عبر صيغ التصوف والزهد التي بلغت أوجهها في القرن السادس الهجري، فجاء التمجيد الباهر كـ " آل البيت" تفتحاً على جوهر التشيع الفاطمي ، وجاء الإعلاء من شأن صحابة النبي تجاوزاً لجوهر الانقسام التاريخي، ما جعل التصوف المصري متألفاً مع عهود الحكم المتشيع (الفاطميون) ومع عهود الحكم السني (أيوبيون ومماليك وعثمانيون) رغم امتداد العهود الأولى لأكثر من مائتي سنة، وديمومة العهود الثانية لأكثر من ثمانية قرون ، بوصفة -أي هذا التصوف-العنوان الإسلامي للشخصية المصرية، في عمقها التاريخي البعيد ولصبح فيما بعد- الإطار الاجتماعي والثقافي والروحي الجامع للمصريين ،بمختلف فئاتهم وشرائحهم ، ولأسيما من أبناء الفئات الشعبية و الدنيا، والتي مثلت الطرق الصوفية دروعاً حصينة لها، في مواجهة غوائل الزمن ،في مختلف الأزمنة المصرية اللاحقة(٦) وذلك بعدما حسم المصريون مبكراً ذلك الصراع التقليدي بين "أصحاب الظاهر" ،من الفقهاء و "أصحاب الباطن" ، من المتصوفة ،سعيماً من جانب أولئك الفقهاء إلى تأليف قلوب الناس من حولهم ،بحيث صار كبار شيوخ الجامع الأزهر أعلاماً للتصوف ،والعكس صحيح ،وهو ما تجلى في أسماء شهيرة كالسادات ،والبكري والعروس وغيرهم(٧)، وذلك بعدما باتت .

٦ أنظر في ذلك ، جران ،بيتر، الجذور الإسلامية للرأسمالية ،مصر ١٧٦٠ - ١٨٤٠ ، ص ٨٩ ، حيث يفصح المؤلف عن الأدوار التي ظلت تلعبها الطرق الصوفية في مصر حتى نهايات القرن الثامن عشر، من حيث كونها ظاهرة اجتماعية -اقتصادية فضلاً عن

٧ -تذكر الباحثة والمؤرخة الأمريكية ذات الأصل المصري ،عفاف لطفى السيد مار سو، أن كل من الشيخ البكري والشيخ السادات كانا يرأسان اثنتان من أكبر الطرق الصوفية

الطرق الصوفية أوسع حركة شعبية منظمة ، لكل منها نظامها وشاراتها وأعلامها وأذكارها وأناشيد ، ما حدا بمفكر مصري معاصر ، هو عبد المنعم تليمة لوصفها بـ " الدولة " الموازية ، أو "دولة داخل دولة " ، بعدما أخذ شيوخ هذه الطرق في اصطناع نظام الحكم السياسي والعسكري على نظامهم ، فرتبوا درجات الأعضاء بها ، من مرید إلى نقيب ، وسموا مجتمعهم باسمهم "الديوان " ، وشيخهم "السلطان" وهو ما بين مدى قدرة المصريين على حفظ تماسك كياناتهم الروحية ووجودهم التاريخي ، فاستعص احتراقه على كل غاز أو دخيل حتى ظهور الدولة الوهابية -السعودية الثالثة، خلال الثلث الأول من القرن العشرين.

في مصر في نهاية القرن الثامن عشر، وهما اللتان أمدتا المقاومة الشعبية ضد الفرنسيين بجموع الرجال وأكثر هم قوة انظر في ذلك كتابها: مصر في عهد محمد علي ص ٨١ .

١- الفتنة الوهابية الأولى : هبة الانكسار:

في واقعة كان لأصدائها دوى لم يعرفه أبناء الريف المصري ، من قبل ، فاجأ المدعو رشيد رضا ، جمهرة المسلمين ، في هذا البلد ، بواحدة من أكثر "الفتاوى " غير المعهودة في تراث التدين الإسلامي المصري ، والقائلة بأن التمتمة بالصلاة على النبي الكريم محمد ، فور ختام الأذان للصلاة تقع في دائرة "البدع القبيحة" (٨) ؟ ، ما كان له أسوأ الأثر في صدور أناس ترسخ إيمانهم التاريخي على تمجيد النبي وآل بيته ، بوصفة أمر يقع في قلب هذا الإيمان ، على نحو ما جسده الطرق الصوفية لزمان بعيد ، لتجئ تلك "الفتوى " المزعومة لتثير شقاً غير مسبوق بين جمهرة المسلمين المصريين ، وهو ما بدى عنواناً كـ " فتنة " أشعل فتائلها رجل ظل محسوباً ، في عيون

٨-راجع ، لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية ، كشف الارتباب في إمامة ابن مسعود وابن عبد الوهاب ص ١٥٦ .

طلاب وشيوخ العلم الإسلامي في الجامع الأزهر ،على أنه التلميذ النجيب لشيخ وإمام هذا الجامع (محمد عبده)، وهو ما منح تلك "الفتاوى" المصطنعة ،كان له أبلغ الأثر في تطويق آثار هذه الفتنة ،أو مابدى أنه كذلك ، في ضوء ما كانت تتمتع به هذه المؤسسة العلمية العريقة –أي الأزهر- من مهابة ونفوذ في نفوس المسلمين المصريين ،ومن إليهم من مسلمي العالم ،بطبيعة الحال، إذ أن ذلك الضرب من

" الفتاوى " لا يقع في دائرة العلم الأزهرى ، فحسب ،بل هو –أيضاً- خارج جل دوائر العلم الإسلامي المتواترة، وكونه ينتمي الإسلامية –هي العقيدة الوهابية، والتي وجدت في رشيد رضا ونظرائه (٩) صوتها ونفوذها الصاعد بين المسلمين المصريين آنذاك،حيث كان رضا يمثل صوتاً أزهرياً- وإن كان متهافتاً ومحددأ في الأوساط الأزهرية –إلا أن تلك الأزهرية بدت وكأنها البوابة السحرية لولوج وهابية آل سعود ،إلى العمق المصري ، فيما جاءت الهوية الصوفية لمؤسس الجمعية الشرعية المدعو (محمود السبكي) لتتشكل منذ ذلك التاريخ نافذة ولوج أخرى لتلك العقيدة الشاذة في هذا البلد وهي ذات الهوية التي كانت مدخلاً آخر لجماعة الإخوان في العام ١٩٢٨ ،و ذلك بغية الدفع بالعقيدة الوهابية للهيمنة على مصائر ومقدرات مصر السياسية والاقتصادية ،على نحو ما عكسه السلوك السياسي شبه العسكري لجماعة الإخوان ، منذ أواخر الثلاثينات ،من القرن العشرين ،وهي الفترة التي شهدت .

٩- راجع: لجنة البحوث بالطريقة العزمية الإخوان المسلمون، متى، كيف ولماذا؟

سيلاً متتابعاً من التساؤلات القلقة ،في الأوساط الإسلامية المصرية ،حول حقيقة الصواب والخطأ في أمر إيمانهم ، وهو وضع كان يعكس –بلامراء- فاعلية الخطاب الوهابي ،على نطاق واسع في هذا البلد ، وذلك ،على نحو ما تبدى في سلسلة الفتاوى الأزهرية المناهضة للترهات الوهابية ،في شأن التوحيد الإسلامي ،والتي أفسحت المجلة الناطقة باسم الأزهر صفحات مطولة لها ،ولاسيما لتلك التي اضطلع بها أحد ألمع علمائه ،وهو الشيخ يوسف الدجوى الذي تلالنت فتاويه واجتهاداته (١٠) ،عبر سلسلة من المعارك الضارية ،التي استبسل فيها ،دفاعاً عن قيم الإسلام

الحضارية والروحية، في مواجهة بدائية الوهابية وماديتها المستصرخة، بحسب ما تبنت في الحظ من النماذج والرموز الروحية الإسلامية، أكان في شخص .

١٠- انظر في ذلك، سلسلة فتاويه في الرد على دعوى الوهابية، والتي جاءت في أربعة إصدارات، مركز حجازنا للدراسات والنشر، الدار البيضاء المغرب ٢٠٠٧.

النبي أو آل بيته أو الصالحين، أو في الهدار كل علم إسلامي تواتر عبر علماء هذا المذهب أو ذاك، وهو حظ و الهدار اقترن بحملة تكفير وترهيب ضارية لجمهرة الملمين المصريين، ممن يمجدون ويعظمون تلك النماذج أو ممن يتبعون علماء السلف الكريم، من حنفية وشافعية ومالكية وحنبلية، ما أن بفتنة واسعة في عموم الشارع الإسلامي المصري الذي ارتبط روجاً وعلمياً بهذه النماذج وهؤلاء العلماء، لكنة فوجئ، وعلى حين غرة، بمن يشككه في إيمانه الراسخ، وبمن يزعزع وعيه الرائق، بدعوي أن تمجيد النبي وآل بيته والصالحين يقع في دائرة الشرك، وأن أضرحتهم محض "أوثان"، وأن تعظيم علماء السلف يندرج في باب العبادة، لأنه كاتخاذ اليهود للأخبار "أرباباً" من دون الله!

وبذلك تساوى جل المسلمين المصريين بأهل الوثنية القديمة وأهل اليهودية المنحرفة، استناداً الشذوذ .

من دعاوى الوهابية السعودية، والذي يعود بالأساس -إلى نظرية ابن تيمية سيئة الصيت، التي اعتبرت الإيمان الإسلامي في عصره، إيماناً بالرب لا الإله على نحو ما شهدته الوثنية السابقة، والتي دفع ابن، بعد أن أفتى قضاة المذاهب السنية الأربعة بزيغه وانحرافه عن الإسلام، في القرن الثامن الهجري الآن أحد وعاظ بادية (نجد) أنى إلا أن يعيد إحياء تلك الشريعة في شبه جزيرة العرب، خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وهو المدعو ابن عبد الوهاب فصارت شريعة ابن تيمية هي شريعته وشريعة ممالك آل سعود الثلاث منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم والتي تبين- فيما بعد -أنها ليست إلا إحدى ثمرات "الإسرائيليات"، التي تمددت في كتب التفسير والأحاديث الإسلامية، ما أدرج شريعة ابن تيمية -ابن عبد الوهاب ضمن أشكال الوافد لا الموروث، على خلاف ما شاع حول هذه الشريعة وأتباعها، وهو ما عكسته أيضاً -فتاوى رشيد رضا، على حد ما أظهره الدجوى، بجلاء لا يحتمل اللبس

، حيث يشير إلى افتتان رضا بالعقل الأوربي ،إلى حد " أنه يقدر كل ما يسمع عن الأوربيين" وكونه " لا يؤمن" بغير ما يقع عليه الحس"، ما حمل الدجوى على مخاطبته بالقول: "ألا تتقى الله في أبناء تلك الأمة المسكينة(أي مصر)،التي كاد أن يقضى عليها تقليد الأوربيين وتقديسهم حتي أختل أمرهم، وضاع رشدهم ، أفتر يد أن تزيدهم فناء في الأوربيين ،كي يقتلوه في كل شئ ، حتي في أمور الدين ، ومسائل اليقين عند المسلمين؟".

هو - إذا - الوافد الوهابي، المقترن بالوافد الأوربي الذي استهدف بنية الإسلام الصوفي - الأزهرى، في ذلك البلد ،

١١ - انظر عدد(٣) من سلسلة الفتاوى ،أباطيل الوهابية في مصر ،ص ٣ وما بعدها.

كي يغترب عنه فيسهل استلاب إرادتهم ،خلال النصف الأول من القرن العشرين إلا أن كل ذلك انكسر أمام متانة الكيان المصري ، وسعي أبنائه للنهوض به، في كل اتجاه ،وذلك عبر مشروع طموح للتحديث ،نهض جوهره على تعددية اجتماعية خلقة، ومؤسسات ديمقراطية فنية ، اتخذت من الحرية سبيلاً لتحقيق الغايات الوطنية الإستراتيجية، فتوهجت قيم احترام الآخر والاعتراف بحق الاختلاف والاجتهاد، فاتسع الوطن لكل الآراء والتيارات والاتجاهات والمدارس في الفكر والسياسة والإبداع ، وهو أمر كان لأئمة التجديد والإصلاح الإسلامي دوره المرموق ،ولاسيما شيخ الجامع الأزهر الإمام محمد عبده والذي اعتبره أحد الباحثين المُنظر الأهم لثقافة التنوير بنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بعدما تمكن من إحداث ما يشبه الثورة في الفكر الإسلامي التقليدي، عبر تحرير العقل(١٢) وإصلاح التعليم ،لتصير تعاليم ذلك المصلح الأزهرى الكبير أحد الأسس المهمة في انطلاق مشروع النهضة المصري حتي قيام ثورة الجيش في يولية ،من العام ١٩٥٢ ، وما أعقبها من تصفية أنشطة واحدة من أكبر الجماعات الوهابية ،في هذا البلد ،وهي جماعة الإخوان.

الفتنة الوهابية الثانية :عواصف الاقتلاع والتهديم:

على الرغم من الهزيمة القاسية التي لحقت بالجيشين المصري

والسورى ، على إثر العدوان الاسرائيلى فى يونية ١٩٦٧ ، وما ترتب عليه من احتلال واسع للأراضي الفلسطينية، إلا أن الجماعة المصرية والعربية لم تفقد الثقة فى ذاتها، على خلاف التوقعات الإسرائيلية

١٢ تليمة مرجع سابق، ص ١٨٦، ١٨٧

والأمريكية ، فانطلقت الاحتجاجات الشعبية عام ١٩٦٨ ، فى مصر تطالب بالتحقيق والمسائلة، وما تبعها من تظاهرات لم تنقطع ،حتى العالم ١٩٧٢ ، تدفع باتجاه إعلان الحرب ،وتحرير الأرض ،وهو ما انعكس فى تعبئة القدرات المتاحة على أسس من التخطيط العقلاني والعلمي ،فكانت الانتصارات لفظة للجيشين المصري والسورى ، عبر الدعم العربي الإسلامى ،فى حرب أكتوبر-رمضان، من العام ١٩٧٣ على الرغم ما شاب الإدارة السياسية للحرب من أخطاء هنا وهناك ،الأن تلك الانتصارات كانت إيذانا ببداية جديدة للقدرة المصرية والعربية على النهوض والبناء، وهو أمر لم يكن مرغوباً فيه البتة من جانب أولئك المهزومين ،من إسرائيليين وأمريكان، فانطلقت مبادرات التسوية العسكرية والسياسة مباشرة مباشرة لمسح دلالة الانتصارات وتفريخ طاقاتها الشعبية المتصاعدة، فيما دشنت سياسة الباب الإقتصادي المفتوح، أو ما عرف بسياسة الانفتاح على أسواق الاستهلاك الغربية ،بغية الهاء الجموع المنهكة ببريق الترف الإستهلاكى المستعار ، ما دفع بالطبقات والفئات الوسطى وفوق المتوسطة إلى الانحدار ،وإلى تزايد معاناة الطبقات الدنيا ولمهمشة ، وهي أو ضاع أفرزت حالة من الحراك الاجتماعى المصطنع ،لحساب قيم الفهلوة والسمسرة والمضاربة فى كل مجال واتجاه ،معزراً بتولد عوائد غير مسبوقة وثروات غير محدودة فى مشيخيات الخليج وإماراتها، عبر الطفرة الفلكية فى أسعار البترول ،فى أعقاب حرب أكتوبر.وبذلك صارت اقتصاديات الربيع العربية هي قائدة التحول فى زمن ما بعد حرب التحرير، أو ما قيل إنها كذلك !ليجد جمهوراً عربياً كبيراً ،كالجمهور المصري ، نفسه ،خارج أي مشروع جماعى للنهضة ،مقارنة بما كان عليه الحال بعيد ثورة ١٩١٩ ،وبعيد ثورة ١٩٥٢ ، لتفترس أفراد هواجس

المصير الغامض والقدر المجهول ، فيندفعون إلى غياهب التحولات المغممة، كل يبحث عن ركائز حلم ، صار مادياً واستهلاكياً ، باطلاق، وهاهنا تبدت دعاوى الوهابية فاصطنعت سلواها الزائفة ، وتعزيانها البائسة ، تسكيناً لمواجع المصريين وتخديراً لطموحاتهم المبددة وانتصاراتهم ، في ظل انقلابات التركيب الاجتماعي ، وتحولات التكوين الاقتصادي ، ليصير هذا التسكين وذاك التخدير بوابة الوهابية السحرية إلى تشييد أركان مشروعها المجهضة على أطلال مشروعات المصريين في النهوض والتحديث ، ولتكون ساحات البحث والعلم التي تبلورت وتشكلت فيها تلك المشروعات ، أي الجامعة ، هي نفس ساحات انطلاق دعاوى التجهيل والترهيب الوهابية عبر جموع من الشباب اليائس ، جرى استنزاف طاقاته واستلاب ملكاته لأجل إقامة فردوس الوهابية الوهمي على الأرض المصرية ، تحت شعارات مضللة عن "الصحة" و"اليقظة" الإسلامية ، وذلك في مطلع فتنة أخرى ، لكنها لم تجد- كسابقاتها - من يطفئ لهيب فتائلها المشتعلة منذ منتصف السبعينيات، من القرن المنصرم وإلى اليوم.

البدايات:

لم يكن الظهور المفاجئ لما سمي " الجماعة الإسلامية "، في الجامعات المصرية الرئيسية (القاهرة، عين شمس ، الإسكندرية)- فالبارعة حديثاً على مستوى الأقاليم ، منذ العام ١٩٧٥ - ببعيد عن التخطيط السياسي لدول وقوى وأطراف تلاقت مصالحها للدفع بالخطاب الوهابي - مجدداً في الساحة المصرية ، ولاسيما في المواقع النشطة بها آنذاك وهي الساحة الجامعية ، التي ظلت منذ العام ١٩٦٨ - كما أسلفنا - وحتى ذلك التاريخ فاعلاً سياسياً نشطاً ، ما عكس صفو الترتيبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية و الإستراتيجية لأوضاع المنطقة، في مرحلة ما بعد الحرب ، من جانب تلك القوى والأطراف ، ولاسيما الولايات المتحدة ومملكة آل سعود ونظام السادات ، وهو ما جعل من اللعب بالسلح الديني الوهابي، أمراً ناجعاً ، في مواجهة حركات الممانعة والمعارضة اليسارية والناصرية المتنامية في أوساط الحركات الطلابية العربية ، ولاسيما المصرية ، منها، وهو ما حدا بحكومات السادات، منذ ذلك التاريخ (١٩٧٥) للوقوف بكل ثقلها خلف المجموعات التي جرى تشكيلها على عجل ، داخل الجامعات المصرية، باسم "الجماعة المسلح ضد أبناء التيارات المناوئة لسياسات السادات .

وفي هذا يقول أحد كوادر الحركة اليسارية الطلابية آنذاك ، وهو كمال مغيث : "يبدو أن أنشطة الطلاب قد أزعجت السادات لاتخاذها شعارات راديكالية (جذرية وثورية) ، تتعارض مع اتجاهات السياسية ، وخاصة الاتجاه نحو التصالح مع إسرائيل بعد خرب أكتوبر لذا أشار عليه " أحد مستشاري "السوء" -وما أكثرهم في بلادنا- بأنه لا يقل الحديد إلا الحديد ، وأنه لن يستطيع مواجهة حركات اليسار في الجامعة سوى الحركة الإسلامية (الوهابية ") والتي تحمل عداً شديداً لليسار وللشراكية ، كما ستحمل ولاء شديداً لمن هيأ لها الأمر داخل الجامعة ، وأعطاهما الإسلامية (الوهابية) تحت سمع وبصر النظام الذي سلحها بمطوى قرن الغزال وبالجنازير والأموال لتواجه بهم حركات اليسار (١٣)

١٣ انظر مقالة بجريدة القاهرة. ١٨٩ ، بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٧ ، ص ٣.

والحقيقة، فإن الإقرار الرسمي المصري باصطناع الظاهرة الوهابية في ساحات الجامعات لم يكن محض خاطر طراً على بعض " مستشاري "السوء" ، كما أفاد (مغيث بل كان جزءاً من مخطط دولي وإقليمي أوسع وأشمل ، لما بعد حقبة " القومية العربية " ، التي تزعمها عبد الناصر، والتي كان قد أن أوان طمسها ، عبر التعريض بكل منجزاتها قبل إخفاقاتها، فجاء التأسيس المعلوم لهيئة دولية تضم مجوعات " الإخوان " وعناصرها الشاردة ، في العام ١٩٧٣ وتحديدًا خلال موسم الحج ، التالي على توقف معارك أكتوبر ، من هذه السنة ، ليعلن من سفح جبل (منى) دلالاته ومغازيه على أي مراقب ومحلل سياسي ، حيث "الدولية" هي الإشارة الأمريكية لتوسع هذه الحركة /الهيئة، عبر مقتضيات سياسات البيت الأبيض ، آنذاك ، وحيث الأراضي المقدسة الخاضعة للولاية السعودية ، هي منصة الانطلاق الرسمية لتلك الحركة طبقاً لمقتضيات التحالف السعودي -الأمريكي ، والذي سرعان ما انخرط فيه السادات ، بحماس يحسد عليه ! فتبدت المجموعة الوهابية ، المسماة بالجماعة الإسلامية، على ذلك النحو المفاجئ ، والمفارق لنشأة أية، حركة فكرية أو سياسية مناظرة في الجامعات المصرية، أو في أي من ساحات النشاط العامة ! ما يحمل على الاعتقاد أن عناصر تلك المجموعات قد تلتقت- قبل التحاقها بالجامعة - أشكالاً عدة من التقلين المنهجي المنظم، داخل مؤسسات الوهابية التقليدية ، في مصر ، ك(الجمعية الشرعية) ، و(جماعة أنصار السنة)، والتي مثلت- ولا تزال المرجعية

العقائدية المعتمدة للتفكير الوهابي ، والتي تتقاطع بالطبع مع النشاط السياسي لجماعة الإخوان ، وهو ما جددت التأكيد عليه المذكرات التي نشرها مؤخراً ، أحدد علماء الأزهر ، ممن عملوا لسنوات في الجامعات السعودية حيث يشير إلى أن الوهابية السعودية لم تتردد في احتضان "فكر الإخوان المسلمين" وفتح أبواب المملكة السعودية أمام هجرة ممن "ضيق عليهم في مصر" ، خلال عهد عبد الناصر وعملت على "نشر كتبهم وتوزيعها مجاناً حتى أصبحت الوهابية هي الناشر الأول لفكر الإخوان المسلمين (١٤)

لذا ، لم يكن متغرباً ، حينذاك ، أن يتصدر المرشد الدولي لجماعة الإخوان (عمر التلمساني) ، وغيره من قادة الجماعة ذلك الضرب من الاستعراضات الدعائية ، التي دأبت جماعات الوهابية الطلابية الطلابية على تنظيمها في تلك الجامعات ، عبر شعارات صاخبة من "التأسلم السياسي" و"الديماجوجية الأخلاقية" حتى صارت عنواناً الفتنة الاجتماعية وعقائدية ، منذ ذلك الحين .

١٤ انظر ، فراج ، عبد الحر من عثمان (دكتور) ، مبعوث الأزهر في جامعات الوهابيين .مذكرات ذكريات ، ص ٢١

التحولات

لم يكن أطالة اللحية وارتداء الجلباب القصير للشباب هو فقط - الشكل الوحيد للإعلان عن مظاهر بدوية الوهابية النجدية وعقيدتها المفارقة لعقائد ومذاهب المسلمين المصريين فجاء غطاء الرأس للفتيات التابعات لهذه الجماعة ، ليثمل عنواناً آخر لارتداد المرأة المصرية إلى "عصر الحريم التركي" ، والتي كانت قد شرعت في تجاوزه مع النهوض المصري العام ، بعد ثورة ١٩١٩ ، إلا أن أتباع الوهابية الصاعدة في الجامعات المصرية أبوا إلا أن يعيدوا هذا التاريخ إلى الوراء ، فشرعوا - عنوة - في فرض الفصل المتعسف بين الطلاب والطالبات في ينبغي ضبط إيقاعاتها الجسدية والجنسية المتوهمة في رؤوس قطعان الوهابية المستجدة ، لكنه فجر الترهيب باسم الدين والذي سوي دين الوهابية ، أو باسم الأخلاق ، لكنها ليست سوى أخلاق الغرائزية الذكورية والبدوية ، التي طغنت المرأة المصرية الحديثة في عفتها وشرفها الانساني ، فأهالت أتربة العطن الوهابي على تاريخ النهوض والتحرر النسائي ، عبر ساحات الجامعات ! وأحالت "شعر الفتيات" إلى جرح يسيل فتنة ، فصار الغطاء/الحجاب ضمادات يسعي صببية الوهابية إلى ترويجه

،قسراً و غصباً وتدليساً ،تحت شعارات " العفة" و"الفريضة "،وسط مناخ من التجهيل غير المسبوق بمقاصد الإسلام وغاياته ،في أزمنة الناس وأماكنهم المتغايرة.

وبدلاً من أعمال البحث والدرس في علوم الجامعة وفي أمور الوطن ،صار ما سطره ابن تيمية وابن عبد الوهاب والشوكاني والمودودي وسيد قطب ،ومن والأهم من تكفيرات هي الشغل الشاغل لأتباع الجماعة الوهابية داخل الجامعة وخارجها، ليتراجع أمر العلم ،ويتدهور أمر العقل ،وهو ما حمل أحد الدعاة المسلمين لوصف ذلك الضرب من الهوس الوهابي الناشئ في مصر ،منذ سبعينيات القرن العشرين ،بأنه "وباء رهيب خطير مثير ينفث في ربوع الأمة مزيداً من التفريق والتمزيق والتمريغ ،والفتن المجنونة باسم السلفية المظلومة، وهم يزعمون أن هذا من الصفوة الدينية والمد الإسلامي (١٥)!

والهذا، لم يكن مفاجئاً أن تطول أيدي الفتنة الوهابية مؤسسة الزواج المصرية ، فتقوض أركانها رأساً على عقب ، أن نزع أتباع الجماعة الوهابية الشرعية عنها ،واصطنعوا شرعية زواج بديل، يعقده أمير الجماعة ،خارج المستندات الرسمية ،حتى شاعت .

١٥ أنظر في ذلك،كتاب إمام العشيرة المحمدية في مصر الشيخ ذكي إبراهيم نقلا عن فراج ،
مرجع سابق ، ص ٧

الزيجات غير القانونية والأبناء غير الشرعيين ، ليتسع نطاق التفكك الإجتماعي، ويستعر بين الأبناء والإباء، في موجة أخرى من موجات الانقسام الأسرى غير المسبوقة في مصر

فتاوى التثبيت:

إنه الفقه البدوي ،بحسب الوصف الذي أطلقه العلامة الراحل محمد الغزالي على هذا الضرب من التخرصات الوهابية ، إن كان يصلح للفظ " الفقه " إطلاقه ،في هذا المضمار!

واستناداً إلى هذا النمط من "الفقه" المبتدع نشطت فتاوى أتباعه ، في طول البلاد المصرية وعرضها، حتى صار غطاء الرأس النسائي حجاباً شرعياً

منذ ثمانينات القرن العشرين ، بين مختلف الفئات الاجتماعية ، والذي لم يكن إلا مدخلاً لتحريم الاختلاط العلني والمعتاد بين الجنسين ، في مختلف مواقع العلم والعمل والنشاط الإجتماعي، لينتهي الأمر بالحجاب الكامل للهوية النسوية، عبر أقنعة النقاب الداكنة ،كجزء من آليات السيطرة والحجب الذكوري ،حتى بين "ذوى الرحم" ، مخافة الافتتان بين نساء ورجال الأسرة الواحدة! إلى حد اعتبار مصافحة المرأة من تجليات "الزنا" المؤثمة وفي هذا ،اتسع نطاق تلك "الفتاوى" ليشمل مختلف أشكال الفنون والإبداع ،تحريماً، ناهيك عن الإبداع التقليدي بالمصارف أو الاستثمار المالي المعتاد ،بوصفهما "فعلاً ربوياً" صريحاً ،ما أدى إلى رواج شركات توظيف الأموال ، التي نهبت أموال المودعين ،وأفسدت ذمم رجال الدين والإعلام والسياسة ، على نحو ما افتضحت وقائعه ،فيما بعد.

وعلى الرغم من ذلك ،ظل هذا النمط من الفتاوى الوهابية المستعرة يتمدد حتى اليوم كأحكام زيارة القبور ، وعذاب الموتى في قبورهم وأهوال اليوم الآخر، وما إلى ذلك من فتاوى انخرط في الترويج لها ممن ينتسبون إلى جامعة عريقة كجامعة الأزهر ،فانبرى أحدهم للإفتاء بضرورة أن تُقدم المرأة المزملة للرجل دواوين العمل الحكومي على إرضاعه، كي تصير الخلوة التي تجمعهما خلال العمل "شرعية" !ما أثار الرأي العام ،ومسارعة شيخ الأزهر لإحالة الرجل إلى التحقيق ،فتجميد عمله ،إلا أن مثل هذه لإحالة الرجل إلى التحقيق ،فتجميد عمله ،إلا أن مثل هذه الإجراءات لم تجد نصيبها - بالطبع - في مواجهة المسئول الأول عن هيئة الإفتاء أي الشيخ على جمعة ، الذي تحدث عن تبرك الصحابة بشرب "بول" النبي! وهو ما حدا به لسحب كتابه من الأسواق ،كأحد تجليات التدهور في بنية العقل الأزهرى ،وشيوخ الخطاب الوهابي ، في هذا البلد، وهو أمر عزاه الطبيب والكاتب الإسلامي أحمد الفنجري إلى مجمل المرويات المنسوبة إلى النبي الكريم(١٦).

مثل "أحاديث الآحاد" و"الأحاديث الموضوعة والضعيفة" ، كونها تنتمي إلى فئة "الإسرائيليات" ، التي تمددت في كتب الحديث ، ومع ذلك فإن شيخاً للأزهر ،هو جاد الحق حرص على الاعتماد عليها ، ولاسيما في أمر "ختان الإناث" والذي أفتى شيخ الأزهر الحالي بحظره، بوصفه منافياً لجوهر الإسلام ومقاصده ،ومع ذلك فقد حرصت الشبكة الوهابية العاملة في مصر

تحت اسم "السلفية" على إعادة طبع فتوى جاد الحق المحبذة لهذا " الختان "ضمن إصدارات خاصة ،وبأسعار زهيدة، كأحد وسائل هذه الشبكة في مناهضة كل ما يتصل بكرامة المرأة وكبريائها ! بدعوى "صيانة الدين " وهي الدعوة

١٦ أنظر ،كتابه مفاهيم خاطئة تؤخر المسلمين ،ص ٤٥

التي يتسربل خلفها دعاة الوهابية في مختلف الزوايا والمساجد الشعبية لممارسة أقسى أشكال الترهيب لمجموع مسلمي مصر،ناهيك عن نظرائهم من المصريين المسيحيين ،فيثيرون "الفتن الطائفية" ويشيعون الكراهية بين أبناء الوطن الواحد ،على نحو ما جرى ولا يزال يجرى منذ ثلاثة عقود متصلة.

المراجع والمصادر العامة

- ١- مجموعة باحثين ،حكمة المصريين ،مركز القاهرة لحقوق الإنسان،القاهرة ٢٠٠٠
- ٢-جران ،بيتر ،الجذور الإسلامية للرأسمالية ،مصر ١٧٦٠ - ١٨٤٠ ترجمة: محروس سليمان، مراجعة ،رؤوف عباس،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،القاهرة ١٩٩٣ .
- ٣-مارسو ، عفاف لطفي السيد ،مصر في عهد محمد علي ، ترجمة :عبد السميع عمر زين الدين ،مراجعة :السيد أمين شلبي ، المشروع القومي للترجمة ، عام (٥٥٤)،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة ٢٠٠٤ .
- ٤- لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية ،كشف الارتياح في إمامة ابن عبد الوهاب، الكتاب الأول ،القاهرة ٢٠٠٤ .
- ٥- المؤلف السابق ،الإخوان المسلمون ،متى ..كيف.. ولماذا؟ القاهرة ٢٠٠٥
- ٦- سلسلة فتاوى الشيخ يوسف الدجوى ، في الرد على دعاوى الفتنة الوهابية (١-٤) ،
- ٧- مركز حجازنا للدراسات والنشر، الدار البيضاء، المغرب ٢٠٠٧

لماذا يكره "آل سعود" الشعب المصري؟

الجدور

(دراسة متخصصة)*

* لعله من نافلة القول أن نؤكد أن مواقف الأمير الوليد بن طلال وفضائح فضائياته ضد شعب مصر وثقافته وتدينه السمح ليست منفصلة ولا منقطعة الصلة عن مجمل السياسة العامة التي تقررها أسرة آل سعود ضد الشعب المصري وضد الدور المصري فى المنطقة ، وما برنامج (هالة سرحان) وفضيحته عن فتيات الليل سوى رأس جبل الثلج لسياسات ثابتة وتاريخ طويل من العداة الإعلامى والسياسى للشعب المصرى ، وفى هذا السياق يهمنى أن نؤكد أيضاً أن آل سعود بهذا يقابلون الفضل المصرى عليهم تاريخياً بنكران وجحود وهو فضل معلوم وتكراره

¹ إعداد/مركز للدراسات والأبحاث بالقاهرة

ليس مستحباً ولا هو من شيم المصريين أو المسلمين إجمالاً ، فهى الشقيق الأكبر الذى على أكتافه تقع المسئولية ، وبين يديه يتحدد الدور والمصير لكثير من قضايا الأمة .

* ولكن يبدو أنه مع أمثال الوليد بن طلال ، وباقي أركان الأسرة السعودية المالكة ينبغى التذكير بهذا الفضل لمصر عليهم ، وبتاريخها الطويل وتضحياتها الجسام من أجل (المقدسات) التى يسيطرون عيها الآن عنوة دوناً عن باقي المسلمين ، ويأسرونها أسراً ويعتبرونها ملكاً خاصاً فى مخالفة صريحة للإسلام ، ومنزلة مقدساته فى ضمير الأمة .

* نذكرهم هنا بأن مصر تاريخياً كانت تحمى الحجاز ، وهى تاريخياً عندما اشتط سعود الكبير مؤسس الدولة السعودية الأولى وخرج من عبادة الإسلام وأضحى خطراً على المقدسات ذاتها قام حاكم مصر وقتها بتأديبه وهدم

مملكته الصغيرة آنذ (فى الدرعية) وكان الحاكم هو محمد على باشا وابنه إبراهيم (١٨١١م) .

* ويبدو أن هذا الهدم المصري لمملكة آل سعود الأولى أضحى هو العقدة التاريخية الحاكمة لسلوك هذه الأسرة فى مملكتهم الثانية والثالثة التي تعيش اليوم بجوارنا وهى التي أنتجت تلك الكراهية المتأصلة فى نفوس (آل سعود) نحو مصر / الشعب ، وليس مصر الأنظمة !! .

* على أية حال دعونا نقرأ التاريخ ، ونفتش فى صفحاته بحثاً عن جذور هذا الفضل المصري على بلاد آل سعود وهذا النكران والكراهية لآل سعود للمصريين .

بداية ، لابد من الإشارة إلى أن الحجاز قد ارتبط رسمياً بالحكم فى مصر منذ عهد الدولة الطولونية (٨٦٨م) .

وفى أيام الفاطميين ، كانت القاهرة تحرص على أن يكون نفوذها عظيماً جداً فى الحجاز وذلك ضمن خطتهم العامة الهادفة إلى تأسيس نفوذهم السياسى والدينى فى ثلاثة من المراكز الإسلامية الكبرى : القسطنطينية ، والمدىنة ، ودمشق ، تمهيداً لتهديد بغداد نفسها ، حاضرة الإمبراطورية العباسية .

كذلك ، فإن سقوط الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية ، لم يضعف علاقات مصر بالحجاز، بدليل أن الخطيب على منبر الحرم المكى كان يدعو للملك الكامل ، ويصفه " بأنه سلطان القبلتين ، وخادم الحرمين الشريفين " .

ووفقاً لما ذكره ابن إياس فى " بدائع الزهور " والجزيرى فى " درر الفوائد " والمقرئزى فى " السلوك " والسخاوى فى " التحفة اللطيفة " فإن ما أنفق على الحجاز ، وعلى عمارة الحرمين الشريفين فى العصر المملوكى يفوق كل ما سبق ، وما تلاه من عصور .

وما إن دخل سليم الأول القاهرة عام ١٩١٧ حتى دخل الحجاز دخولاً سلمياً فى نطاق السيادة العثمانية ، وكان اللقب الذى يعتز به السلطان سليم هو " خادم الحرمين الشريفين " وهو لقب كان يستعمله السلاطين المماليك ،

فورثه سليم الأول ، بعد فتحه مصر وسيادته على الحجاز. الطريف أن آل سعود الحاليين يستخدمونه أيضاً

ولنا أن نتصور النتائج التي ستترتب على قيام سعود " الملقب بالكبير " بشن هجومه الصاعق ، وانقضاضه كالعاصفة على الحجاز عام ١٨٠٤ ، والتي كانت مؤثلاً للثقافة والحضارة فحولها سعود الكبير هذا إلى خراب ودمار بحكم ثقافته الوهابية المتطرفة وجهه بمنزلة الحجاز ودوره .

أما الأكثر سوءاً من ذلك، فهو إطلاقه لجنوده ، الذين شبههم الرحالة الانجليزي " كينث ويليامز " Kinneeth Williams " بقوات المغول "كي ينهبوا ما يشاءون وليسلبوا ما يريدون .

كما أنهم ، والكلام للجبرتي " قتلوا الرجال ، وأسروا النساء ، والأطفال ، وهذا دأبهم مع من يحاربون " خاصة بعد أن أقنعهم سعود بأن الحجازيين " كفار فجّار " على حد تعبير أحد الكتاب النجديين المعاصرين الذي أضاف " أن سعود قد أمر بتهديم كل قبة بما فيها قبة الزهراء ، فاطمة بنت رسول الله (ص) وقبة الحسن بن علي ، وباقي القباب في البقيع ، ثم سار إلى جبل أحد، وهناك قبر حمزة عم رسول الله (ص) وكان عليه قبة كبيرة فأمر بتهديمها "

ووفقاً لنفس الكاتب ، ولما ذكره البتانوني والجبرتي ، فإن سعود ، ومن معه قاموا بنبش قبر الرسول (ص) ونهب الحرم النبوي ، وأخذ المجوهرات التي في الحجرة النبوية الشريفة ، والتي لا تقدر بثمن ، وأنه عبا أربعة ساحاير من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر ، وأربعة شمعدانات من الزمرد ، وقطعة ألماس مستطيلة يضيء نورها في الظلام ، ونحو مائة سيف قرابتها ملبسة بالذهب الخالص ، ونزل عليها الماس وياقوت ونصابها من الزمرد واليشم ، كما أخذ من النقود ما لا يحصى ، وفيها تاج كسرى أنوشروان ، وفيها سيف هارون الرشيد ، وعقد لزيبيدة ، زوجته ، وفيها تحف غريبة من جملة ما أرسله سلاطين الهند ، بحضرته (ص) تزييناً لقبته (ص) وأخذ قناديل الذهب وجواهر عديدة " .

وفى تطور مواز ، أخذ السعوديون يعيقون قوافل الحج القادمة من مختلف الإمبراطورية العثمانية بكل الوسائل .

بل إن سعوداً ، كما يذكر البتانوني " قام بإحراق المحمل المصري " كما عاد المحمل الشامي من غير حج ، ومن ثم انقطع المحملان عن الذهاب إلى مكة ، واستبد سعود بالحرمين استبدالاً مطلقاً " .

مما دعا الجبرتي إلى وصف توقف قافلة الحج المصري بأنها " لا تقل أهمية عن الحملة الفرنسية " كما اعتبر المؤرخون في مصر والشام منع قوافل الحج من العجائب .

"وبشهادة الرحالة الإنجليزي " بوركهارت " Burkhardt " فإن عمليات " الوساطة ، والسمسرة ، وبيع البضائع من قبل الحجاج قد تضررت ، كما تقلص مرور البضائع عبر جدة ، بسبب النقص الشديد في عدد الحجاج ، وأصاب الكساد التجارة مع مصر " مشيراً إلى " أن هذا الوضع السيء لم يكن مقصوراً على الأغنياء فقط ، بل تعداه إلى الطبقة الفقيرة في مدن الحجاز ، حيث أصاب الإفلاس الكثير من الناس ، وخلت جدة من أهلها " .

ضيف الجبرتي " فإنه لما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي ، وانقطع من أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات ، والصرر ، خرجوا من أوطانهم بأولادهم ، ونسائهم وأتوا إلى مصر ، والشام ، ومنهم من ذهب إلى إسلامبول يتشكون من الوهابي ، ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها " .

وفي ذات الوقت ، قام الحجازيون بتقديم شكاوهم إلى محمد علي باشا ، أما الشريف غالب من جانبه، فقد كاتب كلاً من محمد علي وسلطان تركيا ، يستنجد بهما ، والكلام لحافظ وهبة مؤرخ السعودية الأشهر الذي أضاف إلى ذلك قوله " إن إقدام السعوديين على الاستيلاء على كل من مكة والمدينة ، كان يعد أكثر من ثورة ضد الخليفة العثماني " الذي أصدر أمراً حاسماً لمحمد علي باشا يوم ٩ سبتمبر ١٨٠٧ جاء فيه : " إن الذي ننتظر أن تفعلوه أن تقدموا إقداماً تاماً على قطع دابر الوهابيين هؤلاء ، وإزالة فسادهم إزالة تامة " في محاولة منه لاسترجاع سيادته على الحرمين ، واسترداد هيبته في العالم الإسلامي ، وهو ما تم فعلاً كما يؤرخ ويؤكد المفكر الحجازي المعارض لآل سعود د. فوزي النقيطي في بحثه المهم المعنون بـ (العلاقات

المصرية – السعودية .. علاقات مبنية على خصومات – ١٨١١ – ١٩٦٧
وجاءت ضمن كتاب صادر عن مركز المقدسات للنشر – بيروت (٢٠٠٦) .

لم يكن السلوك السعودي المناوئ للجماعة المصرية إذن ، وليدًا لعصر
الثراء البترولي الذي غمر هذه المملكة ، بل يعود أدراجه إلى تاريخ أطول
بذلك بكثير ، تجد جذوره في تدمير الحاكم الألباني لمصر (محمد علي) أركان
الدولة السعودية الأولى ، وهو موروث يرى آل سعود أن على المصريين دفع
استحقاقاته ، إلى اليوم ، على الرغم من براءة المصريين من ذلك الفعل
التاريخي ، بحسب ما حسمته وقائع تلك المرحلة ، إلا أن دولة آل سعود لا
تزال مصرّة على مخالفة هذه الحقيقة ، والزعم بعكسها ، بغية استمرار
حلقات ذلك المسلسل المقيت من التنشفي والانتقام ، في نفوس الأجيال
السعودية المتعاقبة ، أو من تلك الموالية ، قبلياً ، لها ، في أهون الأحوال ،
وهو ما تبدى في العديد من الوقائع التاريخية والتي نذكر منها على سبيل
المثال أداء مدير مديرية المعارف السعودية (محمد طاهر الدباغ) ، في
مواجهة البعثة التعليمية المصرية ، التي قدمت إلى مكة ، في العام
١٩٣٩/١٣٥٧ ، حيث أمر الأول أحد معاونيه بالتعريض برئيس البعثة
المصرية ، بسبب حنقه مما بدا له افتخاراً من الأخير بمرامي بعثته ، فراح
المعاون السعودي يُعد أمام ضيوفه مآثر الفاتحين العرب والفاطميين على
المصريين ، شعراً ، بغية تذكيرهم بأفضال السلف السعودي ، أو بالأحرى
العربي على أهل مصر ، ما يجعل من أي دور لأبنائهم ، في شبه جزيرة
العرب ، استحقاقاً لأثمان قديمة ! .

وعلى الرغم من تهافت هذا اللون من التعريض بالدور المصري ، كون أن
مصر كانت ، إلى جانب بلاد الشام والعراق ، من مراكز الحضارة العربية
الإسلامية ، استناداً إلى مواريتها الحضارية القديمة وخيرات وكفاءات أبنائها
، فإن المسئول السعودي أبي إلا أن يصفى حساباً سياسياً قديماً مع
المصريين ، بدعوى دورهم المزعوم في تصفية دولة آل سعود الأولى ، وهي
في أوج قوتها وشبابها ، وبوتائر متسارعة على الرغم من توسعها في معظم
نواحي شبه جزيرة العرب .

واستمرت الكراهية من أبناء وأحفاد ابن سعود الأول والثاني وصولاً إلى عبد العزيز بن سعود وحتى أولاده (سعود وفيصل) اللذان قاما بتمويل جميع الحركات المضادة لثورة يوليو بما فيها الانفصال السوري عن الوحدة ، وحرب اليمن التي استهدفوا منها جر عبد الناصر إلى معارك جانبية حتى يُهزم بسهولة في ١٩٦٧ ، وهو ما تم فعلاً وكان للسادات دوراً مهماً في مساندة المخطط السعودي المتآمر على عبد الناصر وقتها لما له من علاقات خاصة بكمال أدهم وزير المخابرات السعودي آنذاك ، وبعد هزيمة عبد الناصر تراجع الدور المصري وصعد الدور السعودي وكأنها جدلية تاريخية مؤلمة يقوم قانونها على معادلة تقول : أنه كلما تراجعت مصر تقدمت الأسرة السعودية وليس الشعب في الجزيرة العربية أو شعب الحجاز ، فهو مغلوب على أمره ، نحن نقصد هنا آل سعود تحديداً وسلوكهم وممارساتهم المعادية للعروبة ولمصر ومساندة للمخطط الأمريكي البريطاني الذي ساهم في إنشاء دولتهم واكتشاف البترول الذي منه يستمدون سطوتهم وغطرستهم على شعوب المنطقة .

إن آل سعود مثلوا في دولتهم الثانية ما اسماه البعض بـ (إِسْرَائِيل العربية) في جنوب الجزيرة العربية في مقابل

إِسْرَائِيل العبرية) في شمال الجزيرة العربية ، والاثنتان (تخدمان المخطط الأمريكي الغربي في نهب ثروات المنطقة وفي التوظيف السياسي الرخيص لمقدسات الأمة التي قدراً – وما أسوأه من قدر – وقعت جغرافياً في إَسْرار الدولة السعودية فتحكمت فيها ووظفتها من خلال علماء السلطان ؛ علماء الوهابية ، لخدمة السياسات الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة ، وفي محاصرة وضرب النفوذ المصري ، وفي إهانة الشعب المصري ، كما سنلاحظ في الأجزاء التالية في هذه الدراسة

الواقع المر

لقد أثبت آل سعود طيلة الـ ٢٥ عاماً الماضية ، وعبر سياساتهم الاقتصادية والإعلامية أنهم يضمرون كراهية عميقة للدور المصري في المنطقة ولا يحبون أن يروا مصر وهي تقود المنطقة رغم أن هذه القيادة بمثابة القدر الذي لا علاقة لرغبات الحكام أو أهواء الشعوب بها ، إنها قدر التاريخ والجغرافيا التي تحكم حركة مصر في المنطقة .

إن القانون الحاكم الذي خرجنا به من متابعة ودراسة تطور العلاقات المصرية – السعودية ، ومن تطور الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط العربي عموماً هو أنه كلما تقدم الدور السياسي والحضاري المصري كلما تراجع الدور السعودي وتدهور ، والعكس صحيح ، لأن آل سعود لا يستطيعون التعايش مع مصر كدولة مركزية قوية ، لذلك يحاولون تصغيرها : حجماً ودوراً ونفوذاً ، وما قصة النفط السعودي

خصص لاختراق بلادنا دينياً – سلفياً وقدمت فيه السعودية ٧٦ مليار دولار لنشر الوهابية بتشددها وتسطيحها المعروف للإسلام وللتدين ، ما هو إلا مثال على الدور التخريبي السعودي في بلادنا ، والذي أنتج لنا ٢٥ عاماً من التطرف والغلو الديني الذي دفعنا ثمناً له آلاف الأرواح البريئة من المدنيين ورجال الأمن ، والشباب المغرر بهم من أبناء الجماعات الإسلامية ، وفي موازاة ذلك قام آل سعود بإنشاء فضائيات الخلاعة وسينما المقاولات والأغاني الهابطة استناداً إلى فنانيين وإعلاميين مصريين يسهل شراءهم وبيعهم كالسلع ، الأمر الذي أفسد قطاعات واسعة من الشباب المصري الذي كان بإمكانه أن يتحول إلى قوة دافعة لنهضة مصر فإذا به في الثمانينيات والتسعينيات والسنوات الماضية وقد تحول إلى قوة مدمرة تهدم في أسس

(الدور المصري القائد) ، لقد قامت السعودية بمحاربة مصر عبر محوري (التطرف الديني) و(التطرف الدنيوي) مستخدمة النفط بكل سلبياته ، وتركت الإيجابيات النفطية لكي تستفيد منها أمريكا سواء على شكل عوائد أو أموال مكدسة في بنوكها ، وأيضاً لعبت السعودية في ملف الصراع العربي الإسرائيلي ، وقام بندر بن

سلطان رئيس جهاز المخابرات السعودي وسفير المملكة لأكثر من
عشرين عاماً في واشنطن والقريب من دوائر الاستخبارات هناك ،
والذي يطلق عليه (دلغاً) اسم (بندر بوش) ، قام بدور تخريبي آخر
من خلال

الالتفاف على دور مصر في غزة ، ودور مصر في فلسطين إجمالاً ، فأقام
العلاقات مع الموساد وتحايل ولعب على كل من فتح وحماس حتى وقعا
(اتفاق مكة) الذي من نتائجه الرئيسية إبعاد حماس عن (المقاومة) وإغراقها
في لعبة السياسة وترك (الجهاد الإسلامي) لوحدها ، كل ذلك خدمة لإسرائيل
وأمریکا ، وأيضاً محاصرة للدور المصري الرسمي والشعبي المساند
للفلسطينيين ، ومهما ادعى المتحدث باسم الرئاسة المصرية . أن اتفاق مكة
تم بمشاركة مصرية إلا أن الحقائق على الأرض ، والتي يدركها كل عاقل
ومتابع ، تؤكد أن الاتفاق تم بعيداً عن الإدارة المصرية ، بل طعنأ فيها وفي
علاقاتها الخاصة بالفلسطينيين

* إنه الدور السعودي الصاعد دائماً على جثة الدور المصري ، إنها الكراهية
عندما تتحول إلى سياسة لا تقبل مصر كشريك بل كتابع ذليل ، إنها عقدة آل
سعود من شعب مصر منذ محمد علي باشا وحتى اليوم ، وهي عقدة تجد
تطبيقاتها الواقعية في وقائع وحقائق آخري إنسانية مؤثرة .

كان من نتائج النفط سفر المصريين وغيرهم إلى المملكة للعمل ؛ وكانت هي
الفرصة المناسبة والدائمة حتى اليوم للانتقام من مصر التي كانت أول من
تصدى للفكر الوهابي في وجهه الظلامي ؛ ولكن هذا الفكر صار له دولة
ومال ؛ وتحكم ؛ وكان أول ما فعله النظام السعودي سن نظام الكفيل ؛ وهو
رق مؤقت يجعل السعودي يتحكم في البشر ؛ يأكل حقوقهم ، يسخرهم في
إعمال متدنية ؛ منتهزين الفرصة لإذلال المصري ؛ ثم الترويج للوهابية ؛
وهو أمر مربك ومحير ؛ فالسعوديون يأكلون أموال العمال ؛ والنظام يتحالف
مع الغرب ضد الإسلام ؛ ثم يروجون بعد ذلك للفكر الوهابي ؛ وتلك قمة
المأساة التي يعيشها المسلمون على المستوى الشخصي والجمعي .

* إن أكبر الدواهي والتي جعلت المصري العادي يتميز غيظاً وينفعل من
النظام السعودي هي نظام الكفيل الذي يعطي للسعودي حق إذلال المصري

وأكل حقوقه ؛ و لكن المأساة تتجلى عند وجود خادمة في بيت سعودي فهو يعتبرها ملك يمينه يفعل بها ما يشاء ؛ ويصل الأمر لإرغامها على معاشرة كل الرجال في البيت ؛ وإذا اشتكت فلن يستمع لها أحد ؛ وربما يطبق عليها حد الزنا ظلما وعدوانا ؛ وهناك مأس حدثت لمسلمين بالمملكة يندى لها جبين البشرية ؛ ففي إحدى الحوادث يقوم سعودي باقتحام بيت أسرة أندونيسية للاعتداء على الزوجة فحدثت معركة استطاع فيها الرجل والمرأة من قتل المعتدي دفاعا عن النفس ؛ ولكن المحكمة السعودية قامت بإعدام الاثنين في وقت واحد ولم تستمع لنداءات الرجل والمرأة والشهود ؛ ومنظمات إنسانية في اندونيسيا وغيرها ؛ ويوجد عدد كبير من العمال العرب في السجون السعودية تحت عنوان مرعب يسمى " الحق الخاص " ، والحق الخاص حكم بالسجن المؤبد على العامل العربي إن لم يرض كفيhle السعودي يوما ما!!

ما هو الحق الخاص؟ هو أن يدعي الكفيل السعودي على العامل بتهم متعددة كالاختلاس أو السرقة أو الإخلال بالأمانة فيتقدم الكفيل السعودي بورقة بيضاء الى احد أقسام الشرطة يدعي فيها على عامله بالاختلاس فيزج به في السجن دون ذنب ودون وجه حق وحتى دون إن يستجوب! ويحول الى السجن السعودي المركزي بدون أن يعرض على المحكمة. وقد يبقى هذا العامل شهرا أو سنة أو أكثر الى أن يعرض على المحكمة و الأدلة التي يقدمها الكفيل لاشيء...أحيانا فقط الورقة البيضاء وكلمته وفيما بعد يحضر شاهدين من أقاربه، وينتهي الحكم بالحق العام الذي هو عبارة عن مدة زمنية سنة..سنتين..أو أكثر، وأيضا الحق الخاص الذي هو المبلغ الذي يدعي به الكفيل و الظروف التي تتعقد بها المحكمة لا توفر للعامل إي فرصة للدفاع عن نفسه حيث لا محامي، والقاضي قرر مسبقا أن العامل العربي مجرم ومدان بمحكمة أشبه ما تكون بمحاكم القرون الوسطى فيكتفي القاضي بكلمات مبهمة للعامل مثل: أه... وأنا أبوك... اعترف .. ومصير العامل العربي يصبح كالعبد أو الرقيق تحت مسمى الحق الخاص حيث ترهن حريته لهذا الكفيل الجشع الكذاب وقد يستمر سجنه مدى الحياة.

هذه بعض روايات مصريين عانوا من السعوديين الذين نفخ فيهم النظام السعودي بأنهم فوق القانون والبشر ؛ وما عليهم إلا أن يأكلوا أموال الناس بالباطل

١ - العامل المصري أشرف عزت يوسف الزيني - بطاقة شخصية ٤٩٩٤٦
ثان المحلة الكبرى ومقيم بالعنوان الكائن ٢٣ شارع أبو الفضل - ميدان الإمام - المحلة الكبرى - محافظة الغربية، تعاقد للعمل مع مؤسسة الجزوة للمقاولات بعنوانها الكائن المملكة العربية السعودية - الرياض - العليا - مركز الدهلوي - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع الحلة بوظيفة كهربائي مبان براتب شهري قدره ألف ريال سعودي لمدة سنتين وحصل على ترخيص إقامة بالمملكة بتاريخ ١٣ / ٦ / ١٤٢١ تنتهي في ٢٠ / ٣ / ١٤٢٤ هـ رقم الكفيل ٧٧٨٥٠٧ - ٠١٦١ - ١ مؤسسة الجزوة للمقاولات ، تاريخ الدخول ٢٢ / ٤ / ١٤٢١ هـ ، المهنة كهربائي.

وعليه أنجز العامل المصري المذكور عدة أعمال لصالح صاحب المؤسسة السعودي الجنسية ويدعى صلاح الدين أحمد حسنين إضافة لإنجازه عملاً لصالح شقيق الكفيل .. وتلقى وعداً من الكفيل بمنحه مستحقاته بعد مرور أسبوعين، إلا أنه خلالها تعرض لحادث سيارة نجم عنه إصابته بإصابات جسيمة استدعت إجراء جراحة بالمفصل الأيمن وتركيب شريحة وعدد ٨ مسامير بنفقات قدرها ٩٤٩٠ ريالاً عدا نفقات المتابعة والرعاية اللاحقة، إلا أن الإصابة تسببت في عجز مستديم وإعاقة.

وقد توسط عدد من زملاء العامل المصري لدى الكفيل السعودي للحصول على مستحقاته المالية فأخطرهم الكفيل بعدم توفر سيولة مالية لديه وضرورة مغادرة العامل المصاب الأراضي السعودية مع وعد بإرسال مستحقاته المالية إليه في بلده.

ثم وفور خروج العامل من المستشفى توجه إلى الكفيل لمطالبته بمستحقاته فطلب منه العودة إلى مصر لمدة ٦ أشهر ثم الحضور إلى المملكة لاستلام مستحقاته المالية، وهو ما تم بالفعل ، إلا أن الكفيل تهرب من لقائه .. وعلى مدار ٩ أشهر حاول العامل الحصول على تأشيرة لمغادرة المملكة إلا أنه تعذر ذلك نتيجة تهرب الكفيل بما دعا العامل لتسليم نفسه لترحيلات الرياض التي نجحت في استدعاء شقيق الكفيل للتوقيع على المغادرة مقابل توقيع العامل

المصري بالتنازل عن كافة مستحقاته طرف الكفيل السعودي. كما أن العامل المصري الضحية وأثناء فترة بحثه عن الكفيل التقي ومواطن سعودي آخر يدعى / فهد سليمان الرميحان وأنجز لحسابه بعض الأعمال وحرر شيكاً لصالح العامل مؤرخ بـ ٤ / ١١ / ١٤٢٣ هـ بمبلغ خمسة آلاف ريال مسحوباً على بنك الرياض فرع طريق الحجاز .. إلا أن العامل اكتشف وقوعه ضحية عملية نصب أخرى.

٢ - تهديد من مكتب ولي العهد/ خادم الحرمين حالياً وهذا التهديد تم للمواطن المصري من الكفيل السعودي عادل محمد منصور بالطو مهدداً بنفوذه في الديوان الملكي وقد تحقق تهديده للأسير المصري بصدور أمر من الديوان الملكي لا يصدر لأي أحد ، وهو سحب صك الحكم الصادر للأسير المصري ضد الكفيل السعودي من شرطة الحقوق المدنية بجدة بعد خمسة عشر شهراً من وجوده فيها لتنفيذه لصالح المواطن المصري وذلك لعرضه علي مجلس القضاء الأعلى حيث بقي الحكم أكثر من ستة عشر شهراً إمعاناً في تعذيب الأسير المصري للحصول علي جزأ من حقه بتنفيذ الحكم الصادر لصالحه .

٣ - منعت السلطات السعودية في سجن جدة العمومي أية اتصالات أو زيارات للأسير المصري جمال طه، المعتقل منذ سنوات عدة توجيه أية اتهامات أو إجراء أية محاكمات له. الأسير المصري حجز في زنزانة انفرادية بعد إقدامه على الدخول في إضراب مفتوح عن الطعام. لا لشيء سوى أنه طالب بحقوقه لدى كفيله السعودي .

(ولا تزال لدينا عشرات القصص الإنسانية الخطيرة) .

تلك نماذج من كراهية آل سعود للمصريين ، وهي أمثلة على بساطتها تقدم لنا مجدداً تأكيداً للقانون العام الذي بدأنا به هذه الدراسة وهو أنه لا تقدم للدور السعودي دون هدم للدور المصري ، والدور المصري الذي نعنيه هو ذلك الدور السياسي والاجتماعي والإنساني الذي يقوم على أكتاف شعب حر لديه حضارة تمتد عبر آلاف السنين ، في مواجهة أسرة سعودية قامت على

الغزو واغتصاب المُك بمساعدة بريطانية ثم تثبيته بمساعدة أمريكية ، وهذا الدور المصري هو قدر جغرافي وتاريخي وحضاري قبل أن يكون اختياراً من حاكم أو نخبة ، ولأنه كذلك فإن آلة الهدم السعودية تستخدم بشأنه عشرات الوسائل المالية والإعلامية والسياسية والوهابية الدينية حتى تقوم على أنقاضه والأخطر تستخدم المقدسات الحجازية (في مكة والمدينة) لهدمه ، ولكن ذلك لن يحدث بإذن الله ، وسيبقى هذا الشعب المصري المعلم رغم أنف آل سعود وصبيانهم في مصر .